



غدا سأبدأ حياة جديدة عنوانها الاستقامة على طاعة الله والثبات على التزام أمره واجتناب نهيه.. سوف أتوب بعد أيام وأتوقف عن اقرار الذنوب وارتكاب المعاصي.... سأقطع عهدا على نفسي فور انتهائي من العمل الذي بين يدي بأن لا أعود إلى أيام البعد عن الله وليالي الشرود عن عبادته وطاعته..

عبارات يرددها كثير من أبناء الأمة هذه الأيام , يُسكتون من خلالها صوت تأنيب الضمير و الوازع الفطري الإيمان في قلوبهم , ويُمنون بها أنفسهم بالاستقامة على طاعة الله وعدم الانحراف عن نهجه في المستقبل القريب أو البعيد الذي لا يضمنون مجيئه وهم على قيد الحياة .

تمر الأيام والشهور والسنون ويأبى يوم الاستقامة الموعود أن يأتي , ولا يشعر المُسوّف المسكين إلا وقد داهمه الزمن وأثرت في جسده وشبابه الأعوام و أوهن في عزمته الشيطان الذي لم يجد ثغرة لوساوسه ومدخلا لمنع وإعاقة استقامته – واستقامة بني آدم عموما – أفضل وأعظم من مرض التسوية وداء التأجيل .

لا يجدي نفعاً اعتذار بعض المسوّفين بصدق نيتهم في التوبة والاستقامة ورغبتهم الشديدة في الخلاص مما هم فيه من طول الأمل وضعف الإرادة ما دام الأمر لم يتعدّ حدود النية ولم يترجم إلى توبة نصوح وعمل صالح ومجاهدة نفس وتحمل تكاليف...فمن المعلوم أن العمل الصالح ركن أصيل من أركان الإيمان وترجمة فعلية لحقيقة الخضوع والإنذعان لله تعالى.

لا يقتصر أثر تسويق ترجمة الاستقامة على منهج الله إلى أفعال وتأجيل تنفيذ متطلبات الالتزام بأوامره سبحانه ونواهيته على مجرد فوات الحسنات و فقدان لذة الطاعة و غياب الشعور بحقيقة الحياة الطيبة التي وعد الله تعالى بها عباده الطائعين بقوله : { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } النحل/97....بل يتعداه إلى خطر تمكن الشهوات في القلب مع مرور الوقت حتى يغدو التخلص منها والاعتناق من أسرها من الصعوبة بمكان وهو ما قد يفضي في نهاية المطاف إلى الموت على العصيان ومفارقة الحياة على غير طاعة الله - عياذا بالله - .

كثيرة هي الآيات والأحاديث التي تحث المؤمنين على المسارعة إلى الطاعات وعدم تسويقها والتسابق في المبرات وترك تأجيلها والمبادرة إلى الاستقامة والالتزام قبل فوات الأوان....وهو ما يشير بوضوح إلى أن نبذ التسويق و ذم التأجيل هو أمر إلهي وتوجيه نبوي .

قال تعالى : { وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ } آل عمران/133 , وقال تعالى : { سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } الحديد/21 .

ويأتي الهدى النبوي ليبين أن المسارعة والمسابقة والمبادرة إنما تكون بالأعمال لا بمجرد الأمنيات وأنها سلاح المؤمن الذي يقيه من تقلبات الأيام وأعراضها وينجيه من الندم على تسويق الاستقامة يوم لا يجدي ولا ينفع الندم , فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوْ الدُّخَانَ، أَوْ الدَّجَالَ، أَوْ الدَّابَّةَ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ أَوْ أَمْرَ الْعَامَةِ) والمقصود باردوا بالأعمال الصالحة قبل وقوع هذه الأمور .

العلماء والمربون والمصلحون مجتمعون على أن التسويق من أعظم أسلحة إبليس اللعين ومن أضر العادات بالإنسان ومن أكثر الآفات التي لا يجني منها المسلم إلا الحسرة والندامة والخسران .

يقول ابن القيم في مدارج السالكين وهو يتحدث عن الفرار إلى الله : "يفر من إجابة داعي الكسل إلى داعي العمل والتشمير بالجد والاجتهاد والجد هاهنا هو صدق العمل ، وإخلاصه من شوائب الفتور ، وعود التسويق والتهاون ، وهو تحت السين وسوف ، وعسى ، ولعل ، فهي أضر شيء على العبد ، وهي شجرة ثمرها الخسران والندامات" 468 .

وفي كتابه "الفوائد" وصف رحمه الله هذه الآفة بأنها من الصوارف عن الخير قائلا : " كلما جاء طارق الخير صرفه بواب "لعل وعسى" .

ويقول الحسن البصري رحمه الله : "إياك والتسويق فإنك بيومك ولست بغدك فإن يُكُنْ غدك فكس فيه - أي اغتنمه واجتهد فيه - كما كسيت في اليوم ، وإلا يكن الغد لك لم تندم على ما فرطت في اليوم" كتاب الزهد ل-هناد بن السري" ص289.

يبقى التذكير بأن علاج داء تسويق الاستقامة على طاعة الله ومعالجة آفة تأجيل الالتزام بأوامر الله ونواهيته يكمن في أشياء كثيرة أهمها : عدم نسيان المُسوّف لحقيقة أنه لا يملك من حياته إلا اللحظة التي يعيشها الآن , وأن الموت ربما يداهمة قبل إعلان توبته وإظهار استقامته , وأن يجعل من قوله تعالى : { حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ } المؤمنون 99 - 100 رادعا له ومحذرا من تسويق الطاعة وتأجيل الاستقامة .

المصادر:

المسلم